سينما

فلسطين كايت بلانشيت موقفٌ أخلاقي

أتنفع مقاطعة نجوم غربيّين مهرجانات دولية؟

أثارت كايت بلانشيت اهتماماً بفستانها في مهرجان «كانّ»، إذْ تُشكّل ألوانه مع السجادة الحمراء علم فلسطين، وهذا موقف يستدعي نقاشاً نقدياً

نديم جرجوره

مُثيرة كايت بلانشيت لمشاعر حلوة إزاء فعلها البارع والذكي، المُلتقط بمئات عدسات التصوير الفوتوغرافي وكاميرات الإعلام المرئي والهواتف الذكية. فعلٌ منبثقٌ من رغبات عدّة: إعلان موقفٍ إزاء حرب الإبادة الإسرائيلية في قطاع غزّة، منذ السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023؛ تمرّد على قرار «جائر» تفرضه بالقوّة إدارة مهرجان «كانّ»، في دورته الـ77 (14 . 25 مايو/أيار 2024)، يتمثّل بمنع أي تصرّف أو قول يتعلّق بتلك الحرب، وبالذين واللواتي يتعرّضون لأبشع عنفٍ يوميّ؛ تبيان مدى الذكاء في التحايل على منع كهذا، والمنع مرفوضٌ أصلاً، ومواقف سابقة لبلانشيت تؤكّد أنّ «تعاطفها» مع من يتعرّض للإبادة الإسرائيلية غير انفعاليّ وغير عابر.

هذه إسقاطات على فعل، ربما تكون بلانشيت غير معنيّة بها، أو أنّها معنيّةٌ بها، لكنْ بأسلوب مختلف. أمّا موقفها فواضحٌ ومعروف. الفعل بحدّ ذاته، الذي يُشبه أفعال ممثلات قليلات، بسيطٌ وعميقٌ: فستان بالأسود والأبيض الظاهرين، والأخضر ينكشف مع رفع جانب منه، والأحمر تتكفّل سجادة «قصر المهرجانات والمؤتمرات» في «كانّ» بإكمال المبتغى منه: علم فلسطين. وبلانشيت، إذْ تُمنَع من وضع زرّ تضامن، قبل خروجها إلى السجادة تلك، تبتسم ساخرةً من سخافة منع كهذا، وتبتسم مُجدّداً عند انكشاف علم فلسطين، وابتسامتها الثانية مزيج حبّ وسخرية وتعبير عن قدرة على تمرّد متواضع، لكنّه صادم.

استعادة مواقف سابقة لها، إزاء فلسطين وحرب الإبادة الإسرائيلية، غير مجدية هنا، فالمواقف معروفة ومتداولة، وكلّ مهتمّ ومهتمّة يعرفانها تماماً. علم فلسطين، غير المرفرف عالياً في «كانّ»، أجمل من كلّ قول وارتفاع في هواءٍ، وأذكى من كلّ قمع، تتفنّن مهرجانات سينمائية دولية، مُصنّفة فئة أولى على الأقلّ، في ابتكار أدوات تنفيذه. والقمع ذاك، إذْ يتماهى مع سلوك مؤسّسات رسمية وغير رسمية في غربٍ، يعاني عفناً أخلاقياً مُخيفاً، يواجَه بأساليب عدّة، يُشكّل «علم فلسطين بحسب كايت بلانشيت» أحد تعابيره السلمية الهادئة والبديعة.

فعلُ الممثلة الأسترالية الأميركية سيبقى ثابتاً في مكانه ولحظته وظرفه. لكنْ، هناك إمكانية قول مفاده أنّ تصرّفها هذا غير مُجْدٍ وغير مؤثّر فعلياً، وأنّه إعلان موقف فقط، مع أنّ إعلانَ موقفٍ صحّيٌّ وطبيعيّ. هذا يطرح سؤالاً: أيّهما أجدى وأقوى تأثيراً في مهرجانٍ ومؤسّسة تمنح جوائز: اكتفاءٌ بإعلان موقفٍ كهذا (رغم أهميته وجماله وذكائه)، أم مقاطعةٌ يُنفّذها نجومٌ ونجمات لهم موقع يؤهّلهم، بشكلٍ أو بآخر، لإحداثِ فرقٍ، ولو بسيطا، في حال المقاطعة؟

إعلان موقفْ أمر طبيعي لكنْ أتكون المقاطعة أجدى نفعاً؟

فستان كايت بلانشيت يضع فلسطين في قلب «كانّ» (سمير الدومي/فرانس برس)

«هجوم» سينمائيي «الموجة الفرنسية الجديدة» وسينمائياتها على مهرجان «كانّ»، والهجوم حاصلٌ بمعناه الفعلي والمباشر، لإيقاف دورته الـ21 (التي يُفترض بها أنْ تُقام بين 10 و24 مايو/أيار 1968)، تضامناً مع حركة الطلاب والمزارعين في باريس (أيار 68)، والإيقاف يتمّ بعد عشرة أيام فقط على بدايتها؛ هذا الـ«هجوم» مثلٌ نافعٌ، رغم أنّ الظروف مختلفة تماماً، وكلّ كلامٍ عن إبادة إسرائيلية، أو أقلّ من ذلك أصلاً، يُخوِّن صاحبه وصاحبته ويُحاربان، في غرب غارقٍ في عفنٍ أخلاقيّ قاتل.

رغم هذا، السؤال مشروعٌ، وطارح السؤال يُدرك تماماً أنّ مقاطعة فردٍ أو أكثر بقليل . وإنْ يكن للفرد وأقرانه سلطة معنوية في المشهد السينمائي العام، أقلّه جماهيرياً . غير نافعة، إذْ يُفترض بكلّ مقاطعةٍ أنْ تؤذي من يُقاطَع، كي تفعل فعلاً عملياً. لكنْ، ألن يكون نقاش سؤال كهذا ضروري؟

كلامٌ للدنماركي لارس فون ترير، في مؤتمر صحافي (18 مايو/أيار 2011) يُقام بعد عرض «ميلانكوليا»، في الدورة الـ64 (11 . 22 مايو/أيار 2011) لمهرجان «كانّ» نفسه، أراده نوعاً من مزاح غير متحرّر كلّياً من رأي (عن أدولف هتلر)، يدفع إدارة المهرجان إلى طرده فعلياً من أروقة «قصر المهرجانات»، ومن المدينة برمّتها. لكنْ، بعد سبعة أعوام، تختار إدارة المهرجان نفسه «المنزل الذي بناه جاك» لعرضه للمرّة الأولى دولياً، وإنْ خارج مسابقة الدورة الـ71 (8 . 19 مايو/أيار 2018)، مع أنّ فيه إشارات على إعجاب بعمارة نازية.

ألن تكون سطوة لارس فون ترير، بوصفه سينمائيّاً ترغب مهرجانات سينمائية أولى في امتلاك حقّ العرض الدولي الأول لفيلمٍ له، أحد دوافع الاختيار؟ ألن يكون لكايت بلانشيت، ولزملاء لها وزميلات يلتزمون موقفاً أخلاقياً ضد حرب الإبادة الإسرائيلية، سطوة كهذه، يُمكن الاستفادة منها في حالةٍ آنيّة كالتي يعيشها العالم اليوم؟ أمْ أنّ العفن الغربي أقوى وأعنف وأقدر على التحطيم والتغييب؟

مجدّداً: هذا اقتراح يُناقش، لا قول صارم ونهائيّ. التساؤلات مشروعة. فعلُ كايت بلانشيت باقٍ في ذاكرة أفرادٍ يشاهدون إبادةً جماعية، من دون قدرة على إيقافها، أو على تقديم مساعدة فعلية وعملية لمن يُواجه الإبادة. فالجريمة الإسرائيلية الجديدة تتكامل وعفن أخلاقيّ غربيّ، رغم أنّ في إسرائيل والغرب أصواتاً وأفعالاً (وإنْ تكن متواضعة) تقول إنّ هناك ركائز أخلاقية ثابتة، تواجه بدورها آلة قتل من نوع آخر.

فلسطين كايت بلانشيت إحدى تلك الركائز الغربية، رغم كلّ ما يُقال ويُحلّل.

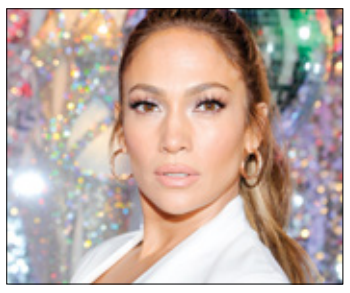

«أنورا» الفائز بسعفة «كانّ 2024»

لا جديد سينمائياً رغم أهمية الحكاية

كانّ ـ **محمد هاشم عبد السلام**

لم يكن «أنورا»، للأميركي شون بيكر، الفائز بـ«السعفة الذهبية» للدورة الـ77 (14 . 25 مايو/أيار 2024) لمهرجان «كانّ»، من الأفلام الأولى في ترشيحات أفلام تتصدّر الفوز بها. لذا، يمكن القول إنّ بيكر انتزعها انتزاعاً. لم تذهب الجائزة إليه تحديداً، بقدر منحها لعوالمه، وتناوله الجريء مواضيعه وطبيعة أفلامه. فـ«أنورا» يعود إلى العوالم المعهودة لمخرجه، وفيها اهتمام بشخصيات في الحضيض، خاصة النساء، لا يلتفت إليها أحدٌ إلا عند الحاجة إليها. لم يخشَ بيكر تكرار ارتياده عوالم عاملين وعاملات في التجارة الجنسية، وكشف القاع المُظلم للمجتمع الأميركي إزاء هذه المهنة، بعد مقاربة شديدة المرارة والقسوة في فيلمه الأقوى «مشروع فلوريدا» (2017). والعودة إلى العوالم نفسها، مع توسّع وخلطة مُغايرة، قبل عامين، مُقدّماً في «الصاروخ الأحمر» (2021) شخصية بطل أفلام جنسية مشهور ومعتزل، في التفاتة غير مسبوقة كثيراً إلى منسيين ومجهولين ومنبوذين في هذه التجارة، التي لا ترحم أهلها. ورغم التناول الحيوي للمواضيع والأحداث، والجو الإنساني، والحس الكوميدي، يتركنا بيكر دائماً مع كآبةٍ تلفّنا، بعد معاينة هؤلاء الأشخاص وأحوالهم ومعيشتهم، خاصة أنّه يصعب نسيانهم. لا تختلف أنورا كثيراً عن موني وهيلي، بطلتي «مشروع فلوريدا»، أو ميكي، بطل البورنو المعتزل في «الصاروخ الأحمر». إنّها من الطينة نفسها، تجمعها بالآخرين مشتركات عدّة، وإنْ اختلفت الأسماء والأشكال والأعمار والظروف المحيطة والملابسات والفواجع.

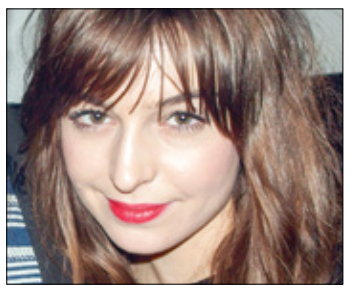

أنورا (ميكي ماديسون) شابة شبه جميلة وعادية. هذا مكمن جاذبيتها وإشعاعها وإغوائها. تُحبّ أنْ تُدعى آني، نظراً إلى كراهيتها اسمها، الذي يُذكّرُها بأصولها الأوزباكية. إنّها فتاة بسيطة للغاية، من بروكلين، تبلغ 23 عاماً. تذكر أنّ لها عائلة مُقيمة في ولاية بعيدة، لا تعرف عنها الكثير. تتشارك مع صديقة شقّة مُستأجرة. رغم تمرّسها في التعرّي والمُرافقة والدعارة (لا يُعرف الكثير عن خلفيتها المهنية، ومتى بدأت، وملابسات البداية)، يلفت ذكاؤها الانتباه. شخصيتها القوية والمُميّزة واضحة بين أقرانها. هذا يثير تساؤلات، فمع تطور الأحداث، تظهر كفتاة لها طموح رومانسي ساذج كبير، برغباتها وأحلامها وأوهامها، وبهذا لا تختلف عن أي فتاة أخرى عادية، بلا تجربة. آني وحدها تتحدّث بعض اللغة الروسية، التي تعلّمتها في منزل جدّتها.

شون بيكر و«السعفة الذهبية» في «كانّ 2024»: طاقة عفوية معهودة (ليونيل هان/Getty)

لهذا، يطلب منها صاحب الملهى الليلي، الذي تعمل فيه، الجلوس مع شباب روس يُريدون تمضية وقت ممتع. تلتقي شاباً أهوج متهوّراً، وغير مسؤول وجبان: إيفان، أو فانيا زخاروف (مارك أيدلشتاين)، الذي يبدو شديد الاختلاف عن الزبائن الآخرين، ومعظمهم له عمر يكفي ليكون والدها، بينما ينضح فانيا حيوية وفحولة، ويتّسم ببراءة ولطف وكرم. يندمج الشابان معاً في تلك الليلة، ثم يزداد التقارب أكثر، خاصة عندما يدعوها إلى حفلة مغلقة في بيته. ثم يطلب منها مرافقته حصرياً، والبقاء معه أسبوعاً مُقابل مبلغ كبير. تدريجياً، تكتشف آني الثراء الفاحش لهذا المُراهق الروسي المُدلّل وشبه المجنون، سليل أسرة لا تعرف مقدار ثروتها، فينقلب العالم الهادئ شبه المُستقر المقتنعة به، رغم كلّ العقبات والمُنغصات. في لحظةٍ من لحظات جنونه وطيشه، ومن دون إدراك العواقب، يصطحبها مع أصدقاء في الطائرة الخاصة لأسرته، للهو في أندية قمار لاس فيغاس، وليتزوّجها رسمياً فيحصل على جواز سفر أميركي، ولا يعود إلى روسيا للعمل مع والده، والفرار من سيطرة والدته المُتحكمة العصبية. يُعقد قرانهما ويبدأ اندماجهما معاً، رغم اختلاف العقلية والاهتمامات والسلوك. يُنشر الخبر، فتجنّ الأسرة. تبدأ الإثارة مع تدخّل توروس (كارين كاراجوليان)، الأب الروحي لإيفان، والخادم المُطيع للأسرة، وراعي مصالحها في أميركا. رغبته الوحيدة المُعلنة إلغاء الزواج، مهما كانت التكلفة، وإعادة «المعتوه» إلى أسرته، فيُرسل الثنائي جارنيك (فاش توفميسان) وإيغور (يورا بوريسوف) لإنجاز مهمة، تصبح عبثية خرقاء للسيد كما في رائعة فرانز كافكا «المُحاكمة»، بصورة سينمائية معاصرة. هنا، يصنع شون بيكر الطاقة العفوية نفسها المعهودة في أفلامه، ما يجعل بقية «أنورا» سريعة وغير متوقّعة، تعجّ بمفارقات ومواقف ساخرة وضحك شديد، واستطراف زائد عن حدّه أحياناً، مع مبالغة قليلة، وذلك أثناء ملاحقة فانيا الهارب والمذعور عند انكشاف أمره، وبعد أنْ عَلِمَ من توروس أنّ والديه قادمان إلى أميركا. فجأة، يُحكم الخناق على آني، الواقعة في قبضتهم القاسية، وحيدة من دون سند أو قدرة على الفرار، حتى العثور على الوغد عديم المسؤولية، وتطليقها منه عنوة، من دون الاستماع إلى «مهاتراتها» عن أنّ الزواج حقيقي، وليس مُراهقة أو طيشاً أو نزوة، وأنّها راغبة فعلياً في تكوين أسرة معه. رغم كلّ ما يتعلّق بالحبكة البسيطة، المعتادة وواضحة الخيوط والشخصيات والأحداث المتوقّعة، لا يوجد صراعٌ بين خير وشرّ، أو نزاع بين طرفين، يرغب أحدهما في أنْ يؤذي الآخر. هناك فقط سوء فهم وتصرّف، ومحاولة قاسية لتصحيح أوضاع تعقّدت. صحيحٌ أنّ هناك تعاطفاً مع آني، ومع رغبتها الصادقة الحالمة، والتمسّك بأمل خيالي في أنْ يكون الزواج حقيقياً، وإيمانها بحبٍّ حقيقي، وإنْ بدا أنّ إيفان لا يستحقه. لكنْ، لا يمكن تجاهل وإنكار انزعاج أفراد عائلته وأصدقائه، وقلقهم إزاء ما فعله. كما أنّ النظرة المحايدة تُقرّ بحتمية الفشل. لذا، يكون إصرار الأقوى أمضى بكثير، من دون اكتراث بشيء، ما يؤدّي إلى نهاية درامية محزنة ومؤلمة. رغم تمرّسها بالحياة، ومعرفتها الأكيدة قوانين مهنتها، وضرورة عدم تجاوزها وانتهاكها، ورغم معرفتها بالرجال وعوالمهم، كانت آني عمياء كلّياً بخصوص اقترابها من فانيا، واستكشافها طبيعته، رغم وضوح شخصيته، فكان احتراقها سريعاً بسبب تصرّفها الحالم. لا علاقة للأمر بشراهتها للمال، أو بنزوة رومانسية، أو بافتتان بحياةِ جاهٍ لم تحلم بعيشها، أو باستغلال مادي. مع أنّها تحبّ المال وتسعى إلى تلك الحياة، فإنّ دافعَها الزواجُ وتكوين أسرة حقيقية. نظرة إلى «أنورا» بمعزل عن أيّ شيء، تكشف أنّه بسيط، بل سطحي، وأنّه مشوّق ومضحك ومثير ومسَلّ. فيه عمق قليل يتعلّق بالشخصيات، وجِدّة في المواقف. لكنْ، بعيداً عن عوالم شون بيكر وسياقات أفلامه، والفنّيات والجماليات والابتكارات السينمائية فيها، وبعض هذا ظاهرٌ في «أنورا»؛ وبعيداً عن فوزه بسعفة «كانّ»، يصعب جداً القول إنّ فيه جديداً أو مفارقة سينمائية. مع أنّ الديكور والتصوير يستحقّان تأملاً كثيراً. أمّا النظرة إليه في سياق إصرار بيكر على رصد عالم مجهول وغير مستكشف كثيراً، وصدقه في التأكيد على أنّ العمل بالجنس عملٌ حقيقي، رغم عدم اعتراف المجتمع به، وكيف أنّه باقترابه المُتعمَّد من عوالم هؤلاء البشر، يحاول تقريبنا منهم إنسانياً، فنحبّهم ربما، أو أقلّه نفهمهم، ونتعاطف معهم؛ يظلّ الفيلم في سياق الأعمال الأخرى لبيكر، أقلّ قليلاً من أفلام سابقة، ولا يصمد كثيراً أمام «مشروع فلوريدا».

السعفة ممنوحة للتناول الجريء لمواضيعه وطبيعة أفلامه

أفلام جديدة

■ Atlas لبراد بايتن، تمثيل جينيفر لوبيز (Getty) وسيمو ليو ومارك سترونغ: محلّلةٌ بارعة للغاية في مجال البيانات، أتْلس شيبرد كارهة البشر، لا تثق تماماً بالذكاء الاصطناعي. عندما تشرع في مهمةٍ للقبض على روبوت متمرّد، تُدرك أنّها متعاملة مع هذه الآلة الغامضة سابقاً. وعندما لا تسير المهمة بحسب المخَطَّط لها، يبقى فقط أنْ تثق بهذا الذكاء الاصطناعي، إنْ ترغب في إنقاذ مستقبل البشرية.

■ American Star لغونزالو لوبيز . غالّيغو، تمثيل إيان مك شاين وتوماس كُرتْشمان ونورا أرنزيدر (Getty): ويلسون قاتل محترف مُسنّ، بات سئماً من حياته العنيفة. يتوجّه إلى فويرتيفنتورا للحصول على وظيفة. يقوده غياب هدفه إلى إجازة هادئة، حيث يصادق النادلة غلوريا، ويبني علاقات غير متوقّعة مع سكان الجزيرة. بينما يتخلّى عن حذره تدريجياً، تُعطّل عودته الحتمية إلى مهنته تلك الفترة السلمية في حياته.

■ Kill Me If You Dare لفيليب زيلبر، تمثيل أنييسكا فيادْلوتشكا (ويكيبيديا) وماتوس باناسْويك: تذكرة يانصيب فائزة لها عواقب وخيمة على زوجين، يُفترض بالحبّ أنْ يكون قائماً بينهما، كما التواصل والتفاهم والصدق. لكنّ الفوز هذا يدفعهما إلى اختبار تجربة غير متوقّعة، إذْ يبدآن في وضع خططٍ محكمة، كي يقتل كلّ واحدٍ منهما الآخر، بهدف الحصول على الجائزة المالية كلّها لوحده.

■ The Underdoggs لتشارلز ستون الثالث، تمثيل سنوب دوغ وتيكا سمْبتر (Getty) وجونيغان بووث وألكسندر مايكل غوردون: جايسن «تو جي أس» جانينغز لاعب سابق ومحترف في كرة القدم، بات في الحضيض. يُحكم عليه بخدمة المجتمع كمدرّب فريق Underdoggs لكرة قدم الأطفال الجامحين، في مسقط رأسه. عندها، يحصل على فرصة لإعادة بناء صورته العامة. مع ذلك، يُمكنه تغيير حياته، وإعادة اكتشاف حبّه للرياضة.

■ Wanted Man لدولف لاندغرين إخراجاً وتمثيلاً، مع كريتسينا فيلاّ (IMDb) وإيما كْروكدال وروجر كروس: يُكلَّف ضابط شرطة أميركي، معروف بمهاراته المهنية، باستعادة شاهد عيان من المكسيك، ومرافقته عبر الحدود الأميركية المكسيكية، بعد أنْ أدّى تبادلُ لإطلاق النار بين رجال عصابات مختلفة إلى مقتل اثنين من عملاء «إدارة مكافحة المخدرات» الأميركية.